الشخصية المتوازنة

للأستاذ محمود شلبي

من أعجب ما في هذا الإسلام ، أنه يزن الأمور بالقسطاس المستقيم ، فلا انحراف إلى يمين ، ولا انحراف إلى شمال ، ولكن خطا مستقيما ، لا ترى فيه عوجا ولا امتا .

فهو بحق دين أنزله الحكيم الخبير ، ليبين للناس الطريق السوى فى كل شيء من أمر الدنيا والآخرة .

ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة الحق والواقع ، لا نظرة الخيال والأساطير .

فالإنسان فى نظر الإسلام مخلوق من روح وجسم ، فعلى هذا ينبغى اعطاء كل منهما حقه فى الحياة .

ويرى الإسلام على هذه القاعدة أن للروح غذاءها وللجسم غذاءه .

ثم يأتى فى ذلك بالعجب العجاب ، الذى لن تجد مثله فى دين سواه ، أو نظام غيره والإسلام بهذا يتميز على جميع الأديان ، ويرتفع فوق مستوى كافة نظم الإنسان وليس من الحق الزعم بأن الإسلام لخص أخلاق البشرية المتوارثة وكون منها نظامه الذى يدعو إليه .

ليس هذا الزعم من الحق ... لأن الإسلام نزل من السماء ولم يأت من الأرض نزل من عند الله ولم يأت من عند البشر .

والله سبحانه ليس فى حاجة إلى سخافات البشر وأوهام الخلائق ليبتدع منها نظاما ينزله إلى الناس .

وإنما هو سبحانه يعلم العلم كله ، ويعلم مالا سبيل للخلائق إلى علمه ، فهو سبحانه عندما ينزل إلى الناس نظاما ، أنما ينزل من عنده علما لم يسبق للخلائق علمه

فالإسلام شيء من علم الله ، أذن الله أن ينزل إلى الناس، ليكون نورا يهديهم في ظلماتهم التي بعضها فوق بعض ، يحتكمون إليه إذا اختلفوا ، ويهتدون به إذا ضلوا

وكما أن علم الله كامل لا سبيل إلى النقص فيه ، فكذلك الإسلام نظام كامل لا سبيل إلى النقص فيه .

« اليوم اكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا »

فزعم الزاعمين أن الإسلام أخذ من أخلاق السابقين وكون منها نظاما ألقاه إلى الناس ، زعم باطل وفهم خاطيء لا يصدر إلا عن الذين لا يفهمون من أين نزل الإسلام .

يضع هذا الدين للناس الموازين القسط فيما يأخذون وفيما يدعون .

ويبلغ في ذلك شأوا ليس في استطاعة بشر أن يبلغه ، وإليك دلائل ماتقول .

التـــوحيد . . . يبني الإسلام رأيه على كلمة « لا إله إلا الله » لا معبود بحق سواه . . . فهو يقرر أن هناك آلهة كثيرة تعبد من دون الله ، ولكنها باطلة كلها والمعبود بحق هو الله .

ثم يعلن في قوة وصراحة رأيه في ذات الله وصفاته في كلمات ليس أبلغ منها في الوجود كله حيث يقول « ليس كمثله شيء » .

قضى الأمر ، وفرغ الإسلام بذلك من أخطر وأدق وأعمق وأوسع مشكلة في حياة الإنسان . ألا وهي مشكلة الخالق والمخلوق ، أو نظرة الإنسان إلى الله وما ينبغي أن يعتقده في خالقه .

وهكذا ينزل حكم الله في تلك القضية مشرقا كالشمس واضحا كالنهار .

الصـــلاة . . . خمس صلوات في اليوم والليلة ، محدودة معدودة ، فيها حق للجسم من الحركات والوضوء ، وحق للروح من الالتجاء والدعاء والصفاء .

الصـــوم . . . النهار كله لا طعام ولا شراب ولا نكاح ، والليل كله طعام وشراب ونكاح . وواضح جدا أن الإسلام يضع في اعتباره أن تأخذ الروح حقها، ويأخذ الجسم حقه ، لا هذه تبغي ولا هذا يعتدي .

الزكاة . . . المال كله ملك لصاحبه ، إلا ما ينبغي عليه أن يخرجه للفقراء

والمجتمع . . . وهو بذلك يحفظ على الإنسان غريزة التملك الفطرية ، ويهذب من جشعه باخراج الصدقات

الحج . . . عبادة تجمع بين حق الجسم وحق الروح ، والمال المبذول والسفر والمشقة والجوار على عرفـــة والطواف بالبيت . . كل اولئك يجمع بين المادية والروحية فى توازن عجيب .

إلا أن الإسلام يبدو أعجب وأعجب فى أخلاقه التى وجه الناس إليها

مشكلة الجنس — تلك المشكلة التى حيرت البشر ، واقترحوا لها حلولا ، فخابوا وخسروا ، وزادوها تعقيدا .

يأتى الإسلام إليها . . فيحلها حلا جميلا . . ولا تقربوا الزنا . . ثم يقول انكحوا ما طاب لكم من النساء . يحرم الاتصال الفوضوى وفى الوقت نفسه يدفع دفعا إلى الاتصال المنظم

يقول للناس إياكم وتناكح البهائم ، كلها حلا الفحل أنثى طرقها ، ولكن اذهبوا فانكحوا ما شئتم من النساء عن طريق الزواج المنظم وهو بذلك لا يشطح شطح الرهبان الذين حرموا زينة الله ، وفصلوا بين الذكر والأنثى فصلا باتا تاما ، ولا ينزلق انزلاق البهيميين الذين يبيحون الاتصال اباحة بهيمية .

أرأيت التوازن فى الحكم ؟

لا رهبانية . . . ولا بهيمية . . . ولكن حنيفية سمحاء .

مشكلة الرزق . . يحرم الإسلام الكسب من حرام فيقول « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » إلا أنه يحث حثا على الكسب الحلال « وكلوا من رزقه » يسد على الإنسان أبواب الرزق الحرام . ويفتح أمامه أبواب الرزق الحلال . فيمنع بذلك الفساد فى الأرض . . ويحفظ على الإنسان حياته التى قوامها الارتزاق

ثم هو يفتح باب الكسب على مصراعيه . . ولا يمنع إنسانا أن يكون غنيا . . ولكنه يزين له أن يعطى الفقراء والمحرومين ، فيحفظ بذلك على الإنسان إنسانيته وعلى الناس مشاعرهم . فلا هو يصادر رؤوس الأموال مصادرة تامة ، ولا يترك أصحاب رؤوس الأموال يعبثون بالناس . ولـــكن « لكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون » ... لك رأسمالك ولكن عليك أن تؤدى حقه .

وهذا هو أرقى نظام يصلح للإنسان وينمى فيه إنسانيته . أنا أملك ما أشاء وأعمل ما أشاء ، ولكن المجتمع له علىّ حقوق لابد من أدائها ، فإن أبيت فالحاكم يرغمنى على أدائها « لو منعونى عقال بعير ، لقاتلتهم عليه » .

ذلك أن الإنسان لا يكون إنسانا إلا إذا عاش حراً ، فإن هو فقد حريته فقد إنسانيته . . وتلك هى نظرة الإسلام إلى الإنسان .

يحرص كل الحرص أن يحرره من كل شىء ينتقص من حريته . ويأمر بكل الطرق بما ينمى فيه تلك الحرية .

مشكلة العمل . . « اعملوا ما شئتم » .. « فاستبقوا الخيرات » يقرر الإسلام حرية العمل على قاعدة « كل ميسر لما خلق له » .. ويترك لك تمام الحرية فى اختيار العمل الذى يناسبك ، ويأمرك أن تسابق غيرك فيه وتتنافس فيه . وهو بذلك ينمى غريزة التنافس فى الإنسان .. تلك الغريزة التى هى أساس كل تفوق وتقدم فى بنى آدم .

العلم . . يأمر الإسلام بالعلم . . ويحرم الجهل .. ولا يقبل من جاهل عذرا .. فاعلم أنه لا إله إلا الله . . طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، إلا أنه لا يقبل علما يؤدى إلى فساد أو ضلال ، ويعذب عليه أشد العذاب . وهو بذلك يحكم حكم العدل ، يريد الناس أن يكونوا علماء ، لا ليتباهوا ويتماروا به ، ولكن ليرحم بعضهم بعضا ، وينفع بعضهم بعضا . ذلك هو الإسلام . . فصل فى مشكلات الناس فصلا حكيما ، ونزل إليهم صراطا مستقيما .

وأراد من الإنسان أن يكون شخصا متوازنا فى كل شىء ، لا طغيان للروح على الجسد ، ولا طغيان للجسد على الروح ، وانما الإنسان عنده من استقام ، والاستقامة فى مقياسه ، أن تعيش وتستمتع بالحياة ، ولكن فى حدود الدائرة التى رسمها لك الله.

تلك الدائرة التى تسمح لك بالحركة فى حرية من غير أن تعتدى على حرية الآخرين .

فكما يكره الإسلام التعمق فى الدين فهو يكره التهاون فى الدين .

وكما يكره الظلم والاعتداء يكره الاستكانة والانطواء .

وكما يكره أكل الحرام فهو يكره التواكل .

دينا قيما . . وحكما ربانيا .. ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟